(٩٠)

"سِر الإيمان"

عزم على العودة إلى مسقط رأسه، والارتماء فى أحضان أرواح من غادروا الدنيا من أقاربه وأحبائه، والاحتماء بما بقى له من ذكريات الماضى، إنهاءً لرحلة طاف فيها الأرض شرقًا وغربًا حتى شاب رأسه ونحل جسده. أخبر الجميع أن مرضه العُضال هو السبب وراء اعتزاله الناس وابتعاده عن الحياة العامة ما بقى له من أيام معدودة فى عمره، أو سنوات عديدة ربما تطول وتمتد، لتبلغ الشيخوخة به مبلغها الذى لا مهرب منه إلا الموت.

والحقيقة أنه لم يعد قادرًا على أى مزيدٍ من كل ما مضى من أشياء وأحوال ... لم يعد قادرًا على مزيدٍ من الاندماج، أو مزيدٍ من استكمالٍ لمسيرةٍ عَلمَ مؤخرًا، بعد أن اختارها واختار معظم تفاصيلها، أنها كانت السبب فى إدراكه أنه لم يكن على صواب فيما مضى من عمره، وأن ما انكفأ على تعلمه وتعليمه غيره طوال حياته لم يكن غير كذبٍ وتضليل، وكأنه كان من وقتٍ لآخر على بصيرة من الحقيقة، ولكنه ظل يتوارى من الاعتراف بها وإعلانها على الملأ فى كل مرة كانت تتجلى واضحة أمامه ليفصح عنها.

وبعد كثير من التهرب الذى بات لا مهرب من مواجهته، لم يستطع سوى الاعتراف بالحقيقة أمام نفسه، فواجهها ناطقًا بها بصوتٍ عالٍ، لم يسمعه سواه، ولم يبتهج لسماعه سوى فؤاده الذى ظل فارغًا أمدًا طويلاً، فإذا به قد

فاض فجأة ممتلأ بسر الإيمان الدفين، بعدما أطلق سراح شعلته التى مكثت أسيرة فى بواطن ذاته.

ويومها فقط تمنى لو كان يملك نفس شجاعة صديقه الذى نفض عن نفسه أغلال التقاليد منذ زمنٍ بعيد، وحرَّر ما تبقى من حياته القصيرة من أصفاد ظنون المحيطين، ففك عن قدميه كل قيدٍ، وتمكن من الوقوف أمام كل ملأ معلنًا للجميع عظمة السر الدفين ... ولكنه هو لم يستطع سوى مواجهة نفسه بالحقيقة دون التمكن من إعلائها على الملأ من أجل تصحيح المفاهيم وتنوير العقول وإنقاذ الملايين.